ياسر عرفات (١٩٢٩ - ٢٠٠٤)

"لا تنتظر حتى تأتي سفينتك، اسبح أنت إليها"

ياسر عرفات اسم اقترن بالكفاح والصمود

ياسر عرفات رمز من رموز المقاومة الفلسطينية

ياسر عرفات علم من أعلام العصر الحديث وسائر العصور

السيرة:

عرفات هو واحد من سبعة إخوة ولدوا لتاجر. مكان ولادته ليس مؤكداً لكن أغلب الظن أنه ولد في القاهرة، مصر في ٢٤ أغسطس/ آب ١٩٢٩م. مع هذا إلا أن البعض ما زال يزعم أن عرفات ولد في القدس في ٤ أغسطس/ آب ١٩٢٩م. لكن اكتشاف شهادة ولادته ومستندات أخرى من جامعة القاهرة قد أنهى

الشك في مكان ولادته (حيث إن كاتب سيرته "الن هارت" يؤكد أنه ولد في القاهرة).

عند الولادة، كان اسمه محمد عبد الرحمن عبد الرؤوف عرفات القدوة الحسيني، محمد عبد الرحمن هو اسمه الأول وهو اسم مركب واسم أبيه هو عبد الرؤوف، عرفات هو اسم جده، القدوة هو اسم عائلته، والحسيني هو اسم عشيرته.

يقول سعيد أبو الريس "كاتب سيرة عرفات: "إنه لا توجد صلة بين عرفات وعائلة الحسيني المشهورة في القدس، ويذهب بعيداً فيقول: إن عرفات أراد تأسيس أوراق اعتماد فلسطينية كي يروج لنفسه طموحاً في القيادة. لذا لا يستطيع أن يتحمل أي حقائق تقلل من هويته الفلسطينية. عرفات ما زال يصر على حقيقة أنه ولد في القدس وكان قريباً لعائلة الحسيني المهمة هناك. عاش عرفات اغلب طفولته في القاهرة، إلا أربع سنوات بعد موت أمه (بين سن الخامسة والتاسعة) فإنه عاشها مع عمه في القدس. ثم التحق بجامعة القاهرة وتخرج منها كمهندس مدني. كطالب، انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين واتحاد الطلاب الفلسطيني، حيث كان رئيساً له من عام ١٩٥٢ إلى عام ١٩٥٦، في القاهرة طور علاقة وثيقة مع الحاج أمين الحسيني، الذي كان معروفا بمفتي القدس. في ١٩٥٦ خدم في الجيش المصري أثناء حرب السويس. في أثناء انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة (٣ فبراير/ شباط ١٩٦٩) عُيّن عرفات قائداً لمنظمة التحرير الفلسطينية. تزوج عرفات متأخراً في حياته حيث رزق بمولودة، تعيش الآن مع أمها "سها عرفات" في باريس، فرنسا.

تأسيس فتح:

بعد حرب السويس غادر عرفات إلى الكويت حيث وجد عملاً هناك كمهندس وبدأ بإنشاء شركة تعاقد خاصة به. هناك ساعد أيضاً على بناء حركة فتح التي أوجدت لقيام دولة فلسطينية مستقلة. في ١٩٦٣ قامت سوريا باستخدام فتح كوكيل لتنفيذ عمليتها العسكرية الأولى -تفجير مضخة ماء إسرائيلية- في ديسمبر ١٩٦٤م. لكن الهجوم كان فاشلاً. بعد حرب الأيام الستة ١٩٦٧ حولت إسرائيل اهتمامها من الحكومات العربية إلى المنظمات الفلسطينية المختلفة، وكانت فتح واحدة منها. وفي عام ١٩٦٩ تم إنتخاب ياسر عرفات رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية.

الأردن:

في أواخر الستينيات، شهد الأردن توتراً بين فصائل المقاومة الفلسطينية والحكومة الأردنية. إذ سيطر المقاتلون الفلسطينيون (الذي كان يطلق عليهم لقب فدائيين) على عدد من النقاط الحيوية في الأردن، ومنها مصفاة البترول الأردنية. شعر الأردن عندها بالتهديد من الجماعات الفلسطينية التي لم يكن لها قيادة مركزية، وأدت تراكمات أحداث عدة إلى اندلاع القتال ما بين قوات الحكومة الأردنية والمقاتلين الفلسطينيين في يونيو ١٩٧٠م.

رغم محاولة الدول العربية التهدئة ما بين الأردن والفصائل الفلسطينية، إلا أن الأمور تأزمت، إلا أنه في ١٦ سبتمبر أعلن الملك حسين بن طلال ملك الأردن عن تطبيق القوانين العسكرية في الدولة، وفي ذات اليوم، تم الإعلان عن تنصيب ياسر عرفات منصب القائد الأعلى لجيش التحرير الفلسطيني، الجناح العسكري

لمنظمة التحرير الفلسطينية. إلا أنه في أواخر شهر سبتمبر من هذا العام، وعلى أثر نجاح القوات الأردنية في مهمتها، تم إعلان وقف إطلاق النار، وانسحبت الفصائل الفلسطينية وعرفات من الأردن إلى لبنان.

لبنان:

على أثر انسحاب المقاتلين الفلسطينيين من الأردن، تمت إعادة تمركز القوات في لبنان، الذي كان يتميز بضعف السيطرة للحكومة المركزية، كما أن له حدوداً مع شمال الأراضي الفلسطينية المحتلة، وجماهيرية حزب فتح في المخيمات الفلسطينية في لبنان. وأتى قدوم الفصائل الفلسطينية إلى لبنان ليؤثر على التوازن الطائفي الموجود في لبنان، ليساعد على إعادة إشتعال الحرب الأهلية هناك، التي كانت قد بدأت بوتيرة منخفضة منذ سنوات. وأدى اختلاف التوازن الطائفي في لبنان إلى إنشاء تحالف ما بين إسرائيل وعدد من الفصائل المسيحية في لبنان، وعلى رأسها حزب الكتائب اللبناني، كما أن القوى السنية في لبنان وجدت في الفصائل الفلسطينية مصدر قوة لها. وفي ١٩٨٢ على أثر طلب مباشر، وإثر اجتياح إسرائيل للبنان، تم تسفير القيادات والمقاتلين الفلسطينيين من لبنان، لينتهي المطاف بهم في تونس.

تونس:

في تونس كان ياسر عرفات بعيداً جغرافياً عن فلسطين، وشهدت المدة بين ١٩٨٣ وحتى اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى في ١٩٨٧ فتوراً في نشاطاته ونشاطات حركة فتح ومنظمة التحرير، وفي أكتوبر ١٩٨٥ نجا ياسر عرفات وبأعجوبة من غارة إسرائيلية على تونس استهدفت منطقة حمام الشط الذي فيه مقر المنظمة ومقر إقامة عرفات الذي أدى إلى سقوط العشرات من التونسيين والفلسطينيين.

إعلان الدولة والاعتراف بإسرائيل:

في اجتماع للمجلس الوطني الفلسطيني في نوفمبر ١٩٨٨، أصدر "إعلان قيام دولة فلسطين" في العاصمة الجزائرية، وأعلن عن تشكيل حكومة مؤقتة، وفي ديسمبر ١٩٨٨، ألقى ياسر عرفات خطابا أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة أدان فيه الإرهاب بأشكاله كافة ودعا إلى مبادرة سلام تعترف بموجبها منظمة التحرير الفلسطينية بحق إسرائيل بالوجود وحق دول الشرق الأوسط من بينها فلسطين بالعيش بسلام، وكان هذا الاعتراف سبباً في اعتراف العديد من دول العالم بالدولة الفلسطينية.

وفي العام ١٩٩٢ تتعرض طائرة عرفات لحادث فوق الأراضي الليبية بسبب عاصفة صحراوية فيقتل ثلاثة من أفراد الطاقم في الحادث وينجو عرفات بأعجوبة.

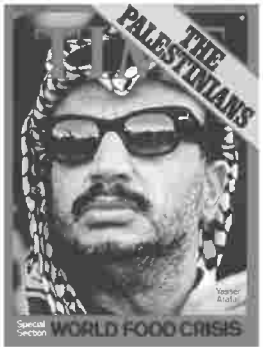

- "عرفات" على غلاف مجلة التايم -

رئاسة الدولة:

في أبريل ١٩٨٩، وافق المجلس المركزي الفلسطيني على أن يكلف ياسر عرفات بمنصب رئيس دولة فلسطين المستقلة، وفي بدايات عام ١٩٩٠، صرح عرفات بأن اتصالات سرية مع القادة الإسرائيليين تجري لإحلال السلام.

حرب الخليج الثانية:

في ١٩٩٠ ولدى بدء حرب الخليج الثانية بين العراق والأمم المتحدة بقيادة الولايات الأمريكية المتحدة بعد غزو العراق للكويت، كان لعرفات موقفا مؤيدا لصدام، فكان لخسارة العراق في تلك الحرب تأثيرات سلبية على الفلسطينيين العاملين والمقيمين في دول الخليج العربية وعلى دعم الانتفاضة الفلسطينية.

اتفاقية أوسلو:

بعد مؤتمر مدريد، بدأت المفاوضات السرية بين منظمة التحرير وإسرائيل عام ١٩٩١ أفرزت اتفاقاً وقعه ياسر عرفات ورئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك إسحق رابين عام ١٩٩٣، فكانت نتائج الاتفاق أن أجزاء من مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة، بدءا بمدينتي غزة وأريحا ستنتقل إلى سيطرة فلسطينية هي السلطة الوطنية الفلسطينية، بالإضافة إلى الاعتراف بحدود دولة إسرائيل على الحدود التاريخية لفلسطين. وفي عام ١٩٩٤، وقع ياسر عرفات وإسحق رابين في القاهرة اتفاقاً لتطبيق الحكم الذاتي في غزة وأريحا بما عرف باسم اتفاق القاهرة وينظر إلى هذه الاتفاقيات على أن شرعيتها مأخوذة من الاتفاقيات الثنائية بدلا من القرارات الدولية من هيئة الأمم المتحدة.

- اتفاق غزة - أريحا بين "عرفات" و"رابين" -

السلطة الفلسطينية:

بعد اتفاق القاهرة بدأت عودة القيادات الفلسطينية في الخارج إلى مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة، وعاد عرفات إلى غزة في يوليو ١٩٩٤ بصفته رئيسا للسلطة الوطنية الفلسطينية. واستمرت المفاوضات لتنسيق الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي الفلسطينية، وفي العام التالي حصل عرفات مع إسحق رابين على جائزة نوبل للسلام. وفي العام ١٩٩٥ يقوم يهودي متشدد باغتيال إسحق رابين، وفي عام ١٩٩٦ يتم انتخاب ياسر عرفات رئيسا للسلطة الوطنية الفلسطينية أمام منافسته الوحيدة سميحة خليل. وفي العام التالي يتم توقيع اتفاقات مع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو لتسليم معظم مدينة الخليل تصاب بعدها عملية السلام بالجمود ثم لاحقاً اتفاقية واي ريفير للانسحاب الإسرائيلي من الضفة، ونتيناهو يجمد الاتفاقية بعد شهرين. ثم يوقع عرفات اتفاقية مع رئيس الوزراء التالي إيهود باراك ويتم تحديد عام ٢٠٠٠ موعدا لتوقيع معاهدة سلام دائمة. وفي العام ٢٠٠٠ تنهار محادثات السلام وتقوم الانتفاضة الفلسطينية الثانية، ويصل أريئيل شارون إلى السلطة في إسرائيل. وفي العام ٢٠٠٢ تفرض إسرائيل حصارا على عرفات داخل مقره في رام الله عقب اجتياحها للمدن الفلسطينية. وفي عام ٢٠٠٣ يعين عرفات محمود عباس رئيسا للوزراء تحت ضغوط دولية ليتنازل عرفات عن جزء من سلطاته، وعرفات يرفض التخلي عن سيطرته على القوات الأمنية، فيستقيل محمود عباس ويصادق الفلسطينيون على خارطة الطريق المدعومة من الولايات الأمريكية المتحدة.

تدهور صحته ووفاته:

- عرفات في مرحلة مرضه -

في يوم الثلاثاء ١٢ اكتوبر ٢٠٠٤ ظهرت أولى علامات التدهور الشديد لصحة ياسر عرفات، فقد أصيب عرفات كما قرر أطباؤه بمرض في الجهاز الهضمي، وقبل ذلك بكثير، عانى عرفات من أمراض مختلفة، منها نزيف في الجمجمة ناجم عن حادثة طائرة، ومرض جلدي (فتيليغو)، ورجعة عامة عولجت بأدوية في العقد الأخير من حياته، والتهاب في المعدة أصيب به منذ تشرين أول/أكتوبر ٢٠٠٣، وفي السنة الأخيرة من حياته تم تشخيص جرح في المعدة وحصى في كيس المرارة، وعانى ضعفا عاما وتقلباً في المزاج، فعانى من تدهور نفسي وضعف جسماني.

تدهورت الحالة الصحية للرئيس الفلسطيني عرفات تدهوراً سريعاً في نهاية أكتوبر ٢٠٠٤، قامت على إثره طائرة مروحية بنقله الى الأردن ومن ثمة أقلته طائرة أخرى إلى مستشفى بيرسي في فرنسا في ٢٩ اكتوبر ٢٠٠٤م. وظهر الرئيس العليل على شاشة التلفاز مصحوبا بطاقم طبي وقد بدت عليه معالم الوهن مما ألم به. وفي تطور مفاجئ، أخذت وكالات الأنباء الغربية تتداول نبأ موت عرفات في فرنسا وسط نفي لتلك الأنباء من قبل مسؤولين فلسطينيين، وقد أعلن التلفزيون الإسرائيلي في ٤ نوفمبر ٢٠٠٤ عن نبأ موت الرئيس عرفات سريرياً وأن أجهزة عرفات الحيوية تعمل عن طريق الأجهزة الالكترونية لا عن طريق الدماغ. وبعد مرور أيام عدة من النفي والتأكيد على الخبر من مختلف وسائل الإعلام، تم الإعلان الرسمي عن وفاته من قبل السلطة الفلسطينية في

١١ نوفمبر ٢٠٠٤م، وتم تشييع جنازته في باريس والقاهرة ورام الله وقد دفن في مبنى المقاطعة في مدينة رام الله حيث عاش أيام الحصار الإسرائيلي، وذلك بعد الرفض الشديد من قبل الحكومة الإسرائيلية لدفن عرفات في مدينة القدس كما كانت رغبه عرفات قبل وفاته. وقد احتشد مئات الآلاف من الفلسطينيين في حشد يعد من أكبر الحشود في التاريخ لإلقاء النظرة الأخيرة عليه قبل دفنه رحمه الله تعالى.

- مئات الآلاف من الفلسطينيين يشيعون "عرفات" إلى قبره -

التقرير الفرنسي:

أصدر المستشفى الفرنسي الذي عولج فيه ياسر عرفات تقريراً طبياً لم يتم نشره بسرعة مما أثار تساؤلات كثيرة حول محتوى هذا التقرير، وأورد التقرير أن وفاة ياسر عرفات كانت في اليوم الثالث عشر من دخوله مستشفى باريس العسكري واليوم الثامن من دخوله قسم العناية المركزة بسبب نزيف دموي شديد في الدماغ، واجتمعت في حالته السريرية المتلازمات التالية:

- متلازمة الجهاز الهضمي: البداية لهذه الحالة المرضية بدأت قبل ٣٠ يوماً على شكل التهاب معوي قلوي.
- متلازمة متعلقة بجهاز الدم تجمع نقص الصفائح وتخثر حاد منتشر داخل الأوعية، وبلغمة خلايا النخاع منعزل عن أي نشاط بلغمي في الأوعية الدموية خارج النخاع العظمي.
- يرقان ناتج عن رقود صفراوي.
- متلازمة الجهاز الهضمي في حالة ذهول متموج ثم حالة غيبوبة عميقة بالرغم من استشارة عدد كبير من الإخصائيين كل في مجاله وكافة الفحوص التي تم إنجازها لم تفسر هذه المتلازمات في إطار علم تفسير الأمراض Nosology.

وأجريت لياسر عرفات فحوصات عدا الفحوصات الروتينية المتكررة وهي:

- فحوصات التجلط وعوامل التجلط.
- عينات النخاع الشوكي مرات عدة في رام الله وتونس وفرنسا.
- عينات بذل النخاع الشوكي L-P.
- زراعة متكررة للدم، البراز، البول، الأنف والحنجرة والقصبات، النخاع، السائل الشوكي، ودراسة الجراثيم والأحياء الدقيقة.
- الفيروسات بما فيها (HIV الأيدز) وكانت سلبية.
- علامات الأورام.
- السموم.

الإشعاعات مرات عدة:

- تصوير بالموجات الصوتية للبطن.
- تصوير طبقي محوري للدماغ والصدر والبطن والحوض.
- الرنين المغناطيسي للدماغ والصدر والبطن.
- تخطيط الدماغ EEG.

موت طبيعي أم اغتيال؟

تضاربت الأقوال كثيراً في وفاة ياسر عرفات، ويعتقد الكثيرون بأن وفاته كانت نتيجة لعملية اغتيال بالتسميم أو بإدخال مادة مجهولة إلى جسمه، فيقول طبيبه الخاص الدكتور الكرد بخصوص إمكانية تسميمه: "في الحقيقة إن الأطباء الفرنسيين بحثوا عن سموم في جثة عرفات بعد مماته في باريس، وتجدر الإشارة إلى أن البحث عن سموم في جسم الرئيس المتوفى حدث بعد أسبوعين من تناول الرئيس عرفات تلك الوجبة المشبوهة، ويعتقد أن مدة أسبوعين هي مدة كافية لتغلغل السم في جسم الرئيس عرفات وإحداث الضرر ومن ثم الخروج من جسم الرئيس بطريقة أو بأخرى، أضف إلى ذلك أن المختبرات الفرنسية كانت تبحث عن سموم معروفة إذ يصعب البحث عن شيء لا تعرفه" كما يقول ناصر القدوة: "كل خبير استشرناه بين أنه حتى السم الأكثر بساطة، والذي يستطيع عالم متوسط إنتاجه، سيصعب تحديده من عالم فذ!" ويضيف:"لا أستطيع أن أحدد يقيناً أن إسرائيل قتلته، لكنني لا أستطيع أيضاً أن أنفي هذه الإمكانية فالأطباء أنفسهم لم يلغوا هذه الفرضية.

ويتبين أن الحراسة حول عرفات لم تكن بالمستوى المطلوب وأنه كان يقابل مئات الزوار أثناء مدة حصاره في المقاطعة وكان يحصل على حلوى وأدوية منهم، كما كان معرضاً للوخز بدبابيس علقوها بملابسه، وتلقى هدايا كثيرة بغير رقابة.